

# الأمثال العربية

## تعبير صادق لحكمة العرب وفلسفتهم

### ومرآة صافية لمدى بلاغتهم في أقوالهم

«وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»  
صدق الله العظيم

للأستاذ جعفر الخليلي

**المثل** هو الشبه والنظير . والصفة والحديث . وهو القول السائر بين الناس الممثل بمضربه . أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام . وألفاظ الأمثال لا تغير تذكرًا . وتأنيلاً . وأفراداً . وتثنية . وجمعاً . بل ينظر إليها دائماً لمورد المثل أي أصله . وهو العبرة والخبرة كما تقول كتب اللغة . والمثل في الاصطلاح العام المفهوم : خلاصة ما يتوصل إليه المفكر من أعمال فكره في الحوادث والوقائع . وسنن الطبيعة . والسيرة التي تصلح أن تكون قاعدة من قواعد الحياة وتسفر عن العظة . أو الدرس والتنبية . والحذر . والسلوك الحسن بين الناس وبين المرء ظاهره وباطنه ثم هي زينة يوشى بها أنمة الأدب أقوالهم . والعقلاء أفعالهم . ومن اتساع معاني الأمثال أن كثرت التعاريف للأمثال عند اللغويين وفطاحل أهل الأدب .

وقد ذكر ابن العربي أن (المثل يفتح الميم والثاء) والمثل (بكسر الميم وفتح الثاء) عبارة عن تشابه المعاني المعقولة. وأن المثل (بكسر فسكون) عبارة عن تشابه الأشخاص المخصوصة. وقد يدخل أحدهما على الآخر. كما ورد في مقدمة كتاب الأمثال للميداني بتحقيق سعيد محمد نمر الخطيب.

ونقل الميداني عن المبرد (أن المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، مأخوذ من (المثال) والأصل فيه التشبيه. فقوهم: (مثل بين يديه) أي وقف مشبهاً الصورة المتصبة، وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له من الفضل).

ومن شروط التشبيه أن يكون المشبه به أجمل وأوضح وأبلغ من المشبه لكي يكون مثلاً. وقد عابوا القائل على قوله:

**كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوس حولهم ماء**

ومن البدهيات أن هذا القائل حين أراد أن يشبه مجلسهم لم يجد مثلاً أبلغ ولا أحسن من أن يعيد القول نفسه فيشبه مجلسهم من الماء بمجلسهم من الماء نفسه، ولكن قوله هذا لم يكن مقبولاً فقالوا في أمثاله (وفسروا الماء بعد الجهد بالماء) وأصبح قوهم هذا من الأمثال السائرة.

ويقرر أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (أن كل كلمة وحكمة سائرة تسمى مثلاً. وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً المصدر المتقدم نقلاً عن جمهرة الأمثال.

قال ابراهيم النظام: (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

١ - إيجاز اللفظ.

٢ - إصابة المعنى.

٣ - حسن التشبيه.

٤ - جودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة. مقدمة الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزي.

وقد نقلها الشيخ ابراهيم الطرابلسي الحنفي المتوفى أخيراً في أرجوزته (فرائد اللآلئ) لأمثال الميداني فقال:

واجتمعت أربعة في المثل      ما سواء قد خلا كل جلي  
 إيجاز لفظ. وإصابة لما      عني، وتشبيه بمن رسما  
 رابع هذي. جودة الكتابة      بها البليغ أدرك النهاية  
 تحقيق سعيد نمر الخطيب.

وقال ابن المقفع: (إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأتق للسمع وأوسع لشعب الحديث).

ومثله ما جاء في كتاب (الأمثال العربية ومصادرها في التراث) عن ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (أن الأمثال التي هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ آتق من الشعر، وأتق من الخطابة، لم يسر شيمة سيرها، ولا عمّ عمومها حتى قيل (أسير من مثل) وقد قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر      بعرفه الجاهل والخابر  
 كما أنه أبلغ من الحكمة، وأقوى على التعبير وأوضح للمنطق).

ونرى أن المثل في الشعر أوقع في النفس، وأبلغ في السمع، وأن ابن عبد ربه لم يرد هنا بالشعر إلا الشعر الذي خلا من الأمثال، وهنا فصل المثل على مثله هذا الشعر. وقال أبو هلال العسكري (أصل المثل من التماثل بين الشيئين في الكلام كقولهم (كما تدن تدان) وهو من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما بقوله شبيهه وشبهه، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلاً، وضرب المثل جعله يسير في البلاد، من قولك ضرب الأرض أي إذا سار فيها).

وقالوا (المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير. وهذا ما يؤكد ابن عرفة في قوله ضَرَبُ الأمثال اعتبار الشيء بغيره - وقوله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) وقال ابن اسحق معناه اذكر لهم مثلاً. أخرجه محمد أبو صوفة.

وفي المناظرة بين النعمان بن المنذر وكسرى أنوشيروان التي أوردها أبو صوفة في كتابه شاهداً قال النعمان لكسرى: وأما الأمم التي ذكرت فأمة نقرنها بالعرب إلا فضلها.

قال كسرى - بماذا؟

قال النعمان: بعزها، ومنعها، وحسن وجوها. وبأسها، وسخائها. وحكمة ألسنها. وأما حكمة ألسنهم. فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم. وروث كلامهم وحسنه. ووزنه وقوافيه. مع معرفتهم بالأشياء. وضريرهم الأمثال. وإيلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس.

ويقول الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ (المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدأوه فيما بينهم وقأهوا به في السراء والضراء واستندروا به المجتمع من الدرر. ووصلوا به إلى المطالب القصية. وتفرجوا به عن الكرب والمكرمة. وهو من أبلغ الحكمة. لأن الناس لا يتعمقون على ناقص أو مقصر في الجودة. أو غير مبالغ في بلوغ المدى في التفاسير) ويضيف محمد أبو صوفة ويقول:

أما المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ فيرى في كتابه شرح الفصيح (أن المثل جملة في القول مقتضبة من أصلها، أو مرسله بذاتها تسم بالقبول، وتشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير في لفظها، وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها).

وغير هذا من التعريف بالأمثال على ألسنة أئمة الأدب والعارفين بمضامين الألفاظ واللغة الشيء الكثير الذي اكتفينا فيه بما أوردناه. ولم يعد الاهتمام بالأمثال في عصرنا الحديث مقتصرًا على الأدب وإنما أصبحت الأمثال من المصادر المهمة عند علماء النفس وعلماء الاجتماع. ولعل الأمثال العربية من أوائل ما وضعت الحجر الأساسي في بناء التشقة. ومن أوائل ما ميزت بين الغرائز والأخلاق المكتسبة في المجتمع، فقد جاء في أمثال العرب قورم في الأخلاق المكتسبة

#### من شبَّ على شيء شاب عليه

وقالوا - (نفس عصام سرودت عصاما) وليست المقادير هي التي سرودت عصاما على قومه وجعلته كبيراً بمعناه. ولا عبرة بالمصادفة والمقدورات فإنها لا تصلح أن تكون قاعدة، وزادوا على ذلك فقالوا،

والنفس كالطفل أن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تقطعته بنظم

وأحسن مثل للفريزة التي لا تتغير ولا تبدل تتجلى في قول الشاعر إذ يقول:

أنت لو جكتَ للحجار رداءً      من خبط الباقوة الحمراء  
ثم صغتَ النبر المصفى لحاماً      وبذاك اعتسبت أي اعتناء  
وإذا ما علقتَه اللوز رطباً      بدلاً من شعيره والماء  
وعن التين لو أخذت عليقاً      قصب السكر اللذيذ الغذاء  
لم يزل ذلك الحمار حماراً      هكذا قل طبيعة الأشياء

هل المثل قاعدة عامة. غير محزومة؟

والمثل في محله قاعدة ثابتة لا تقبل النقض ولا تحيد عن الواقع. فحين ينتصر الحق على الباطل تستطيع أن تنجز قائلاً: (الحق يعلو ولا يُغْلَى عليه)، ولكنك في محل آخر وواقع مخالف لذلك فيمكنك أن تقول (ما انتصر الحق مرة إلا وكان الباطل قد انتصر عشر مرات وأكثر) وحين ينجى الولد مشابهاً لأبيه في شأن من الشؤون فإن المثل قاعدة مطردة إذا قلت (إن الولد على سر أبيه) أما إذا شابه الولد أمه وأباه فيكون المثل حينذاك (الولد على سر أبيه) أو أن تقول (ومن يشابه أبيه فما ظلم) وستكون الجملة نثراً وليست شطراً ليت من الشعر كما هو عليه المثل.

### الأمثال العربية في التاريخ

ويغلب على الظن أن ظهور الأمثال على الألسن بدأت بظهور الشعر العربي في الجزيرة، لأن مبدأ تأريخ الأدب لم يكن يعني شيئاً غير الشعر. والسبب في ذلك هو أن القراءة والكتابة لم تكن شائعة في الجزيرة باستثناء القليل ممن كان يمارسها في بعض المدن مثل مكة المكرمة. والمدينة المنورة وصنعاء والبحرين، وكل ما كان هناك من الوسائل لرواج الشعر وتداول اللغة كان محصوراً بالتدونات والأسواق، وبجالس السمر في بيوت الشيوخ ورؤساء القبائل. وانتشر الشعر أول ما انتشر بمحكي جانبا من حياة القبائل والسكان. وبصور ما استطاع من جوانب الأدب العربي ومميزاته ومنها الأمثلة في الشعر والخطب والحكاية من النثر. وتاريخ الشعر الذي بدأ به تاريخ الأدب لا يبعد أكثر من قرن واحد وبضعة عقود قبل ظهور الإسلام. لأن التواتر في رواية الشعر كان قد انعدم وجوده قبل القرن الخامس الميلادي ويقول (كوستاف فون كرون باوم) بأن أول مجموعة

كان يتسبب شعراؤها جميعاً إلى قبيلة (قيس بن ثعلبة) من بكر بن وائل وكان يعود تاريخها إلى أربعمائة وأربعين سنة من الميلاد، وقبل ذلك لم يصل إلينا أدب ولا شعر لكي ندورس عليه النواحي الأدبية العامة والأمثال بصورة خاصة (عن موجز لتاريخ الأدب العربي - تأليف جعفر الخليلي - مخطوط).

وأول كتاب حوى طرائف من الأمثال البليغة التي لم يضاهها مثل من الأمثال العربية ولم يسبقها سابق في السبك والإيجاز كان القرآن المخيد الذي غني بالمثل عناية خاصة تكفي لرفع أهمية المثل وقيمته في ميدان الثقافة العامة..

### أمثال القرآن

ولقد تضمنت الأمثال في القرآن جميع النواحي والفصول، والصفات، وما أشار إليه الحكماء والبلغاء من تعريف للمثل من الحكمة، والموعظة، والتشبيه والتنبيه. يختلف الصور حتى بصورة الشعر كقول الله تعالى: (ما أنت إلا بشر مثنا) سورة الشعراء - الآية ١٨٦ وكقوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) سورة آل عمران ٨٦ وقد ضمن أحد الشعراء هذه الآية في بيت قال فيه:

إن في القرآن بيتاً فيه للمعاق طباً  
(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبوا)

وبعد حذف النون هنا في قوله (تحبوا) من الاكتفاء في علم البديع.

وفي القرآن من الأمثلة المتنوعة من حيث اللفظ والمعنى الشيء الكثير فختلف الأغراض الدنيوية والأخروية وقد حصر الأستاذ سعيد محمد نمر الخطيب في تحقيقه لكتاب ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ الآيات التي جاء فيها ذكر للمثل ومشتقاته فكانت ١٦٢ آية، أما الأمثال الأخرى فإنها من الكثرة بحيث يتعذر حصرها بسهولة.

ويقول ابن قيم الجوزي على لسان أحد تلامذته: (إن في القرآن أمثالاً وأن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون) مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون.

ويقول محقق (كتاب الأمثال في القرآن) إن كثيراً من الأمثال وإن اختلفت ألفاظها

فهي مأخوذة من القرآن من قبيل قولك (القتل أنفى للقتل) فهو مأخوذ من قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقولك (ما تزرع تحصد) مأخوذ من قوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) وقولك (الحمية رأس الدواء) مأخوذ من قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)، وهذه بعض أمثال القرآن نوردها هنا كمناذج لمختلف الأغراض.

يقول الله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) سورة الأنعام - الآية ١٦٤.

ويقول (إن بمسكم فرح فقد مس القوم فرح مثله) آل عمران - الآية ١٤٠ هـ.

وقوله تعالى (ألم تركب ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) سورة إبراهيم - الآية ٢٩.

وقوله تعالى: (مثل ما يتفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فباها صبراً أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) آل عمران - الآية ١١٧.

وقوله تعالى (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به). سورة النحل - الآية ١٤٦.

وقال تعالى: (ولا يبنك مثل خبي) سورة الفاطر - الآية ١٤.

وقال عز وجل (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلةً) بونس - ٢٧.

وقال (ولا يحق المكر السيء إلا بأهله) سورة الفاطر - الآية ٤١.

وقوله تعالى (فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) الأعراف - ١٧٦.

وقال عز وجل (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) سورة ياسين - الآية ٧٨.

وقوله: (وما يذكر إلا أولوا الألباب) سورة آل عمران - الآية ٤.

وقوله (كمثل الخمار يحمل أسفاراً) سورة الجمعة - الآية ٥.

وقوله (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري) سورة النور - الآية ٣٥.

وقوله (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) آل عمران - الآية ١٤.

وقال تعالى: (وَوَفَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) آل عمران - الآية ٢٤.

وقوله: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) سورة البقرة - الآية ١٣٢.

وقوله: (وَأِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة البقرة - الآية ١٤١.

وقوله: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) البقرة - الآية ١٤٧.

وقوله تعالى: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) سورة البقرة الآية ١٨٧.

وقوله (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِيبُوا يُقْبَلُوا) سورة آل عمران - الآية ١٠٨.

وقوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوًا بَيْنَ النَّاسِ).

ونسب ما استخرجناه هنا من القرآن الكريم كافٍ للتعبير عما يضمه القرآن من حكم. وتشبيه. وحجة. وتحذير من الأمثال البليغة التي غطت على جميع الأمثال من حيث الإنجاز والبلاغة. وقد يفوت الإنسان إمعان النظر بسبب العجلة فلا يفهم المثل بحقيقته. وإني لأذكر يوماً كنت مدعوّاً على مائدة السيد ضياء الطباطبائي بمزرعته وكان السيد ضياء كما لا يخفى رئيساً للوزارة ذات يوم. كما كان سكرتيراً للمؤتمر الإسلامي الأعلى بالقدس وكان قد عاد من المنفى وتولى زراعة هذه الأرض التي كانت بوراً فجعل منها جنة في زمن قصير. وجاء أخديث عن الأرض حين تلقى العناية الكافية وأرانا أكياساً من الحبوب كل كيس كان حاصل حبة واحدة ومن جملتها كان كيس بعد ثلاثة آلاف حبة ومئات أو عشرات نسبت عددها قال إنها حاصل حبة واحدة من القمح. فقلت أنا: إنه أمر عجيب ولكن كيف نستطيع أن نوفق بين هذه التجربة وقول الله تعالى إذ يقول:

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) سورة البقرة - الآية ٢٦١ وقد جعل الله غاية الحصول للحبة الواحدة سبعمائة حبة !!!

فرد عليّ السيد الطباطبائي وقال: ما أظنك إلا ساهياً عن تكملة الآية الكريمة فلم ننم قراءة قوله تعالى (والله يضاعف لمن يشاء).



## المجمع والتأليف لأمثال القرآن

وعى المؤرخون والمعنيون بالأدب وفصوله ما في القرآن من الأمثال والروائع الفكرية متأخرًا عن جمعهم للأمثال العربية. ولذلك لم تعرف كتاباً اختص بأمثال القرآن قبل القرن الرابع وهو العصر الذهبي من حيث ازدهار العلوم والأدب، في حين أن الاهتمام بالأمثال العامة قد بدأ في حوالي منتصف القرن الأول الهجري.

وقد تتبع محقق كتاب (الأمثال في القرآن الكريم) لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ فحصر الكتب والمصادر التي اختصت بأمثال القرآن في بضعة كتب كان أبعدها تاريخاً هو (أمثال القرآن) للجنيد بن محمد القواريري المتوفى سنة ٢٩٨ هـ الموشك على ابتداء القرن الرابع.

و(أمثال القرآن) لنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣ هـ و(أمثال القرآن) لغمد بن الحسين السلمي المتوفى سنة ٤١٢ هـ. و(رسالة في أمثال القرآن مع شرح روضات الأمثال - لأحمد بن عبدالله الكوز كفاي. ولم تعين سنة وفاته. وقد طبع بفارس سنة ١٣٢٤ هـ. و(الأمثال في القرآن الكريم) لابن قيم الجوزي المتوفى سنة ٧٥١ هـ بتحقيق واسع وبارع من سعيد محمد نمر الخطيب.

ونحن نضيف على ما ذكر استناداً على ما ورد في كتاب (الأمثال ومصادرها في

التراث) من كتب الأمثال في القرآن الكريم:

(كتاب أمثال القرآن) لأبي علي أحمد بن الجنيد الإسكافي المتوفى سنة ٣٨١ هـ وكتاب (أمثال القرآن) لأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ هـ. وكتاب (أمثال القرآن) لأبي حسن علي بن محمد الماوردي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ. وهناك مخطوطات أخرى في أمثال القرآن تحتفظ بها بعض الخزانات والمكتبات العربية والأجنبية منها (الأمثال الكامنة في القرآن والسنة) للحسن بن عبد الرحمن القضاعي و(أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري) لنوري الحق تنوير.

ومن كتب الأمثال في القرآن المطبوعة حديثاً (أمثال القرآن) للدكتور محمود بن

الشريف. و(الأمثال القرآنية) لعبد الرحمن حسن حنكة الميداني على ما أورد سعيد الخطيب.

وان جميع الكتب المؤلفة في الأمثال العربية العامة لم تغفل الاستشهاد بأمثلة القرآن لفظاً أو معنى، وقد قلّ اليوم مؤلفوها ومؤلفو الأمثال العامة. وتوجهت العناية عند البعض إلى الأمثال العامية وهو أمر لا بأس به. ولكن يبدو أن العربية الفصحى قد عفت فلم يعد هناك من يحسن سبك الأمثال الجديدة وظل الاعتماد كله على القديم وما قيل في العصور العربية وعلى الأخص في الحاهلية وفي صدر الإسلام باستثناء القليل مما جدّ وبعث اليوم.

#### ما تطوي عليه الأمثال

منها إشارة لقصة مشهورة حسب أن تذكر اسمها كقصّة (يوسف) و(نوح والسفينة) أو ذكر القصة بغاية الإيجاز كأن تقول مثلاً: مرّ ذئب من تحت جدار عال كان على سطحه خروف فشم الخروف الذئب، فقال الذئب لم تشمتني أنت وإنما تشمتني محلكت. أو قصة تأتي بها بعداً فيراها كإحدى قصص (كلبلة ودمنة) مثل قصة (الثور والحمار) أو (الثيران والأسد) أو كلمة توجيحية كقول الإمام علي كرم الله وجهه إذ يقول (لا تسبح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه) أو الكلمة الدالة على الحكمة من قبيل قولك (الصبر مفتاح الفرج) أو أن تقول (رب ساع لقاعد)، ولا يقتصر المثل على الثراء وجميله أن يأتي شعراً لأن موسيقى الشعر تجعل له رونقاً أزهى من الثراء. بالإضافة إلى الروعة التي لا يبلغها الثراء كقوله:

الناس من يلق خيراً قاللون له ما يشهي ولأم اغشق المبل  
ومن أشهر النماذج للأمثال في الشعر قولهم:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشهي السفن  
وقولهم:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الحد واللعب  
وقولهم:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وقرهم :

وحبككم هذا التفاوت بيننا وكل أناء بالذي فيه ينضح  
وقرهم :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظلمت وأي الناس تصفو مشارب  
إذا كنت في كل الأمور معانياً صديقك لم تلق الذي لا تعابه  
ومن أعذب الأمثال في الشعر أقوال لها مغزاها المعروفة في قرهم :

قالت الضفدع قولاً فرنسه الحكماء  
في لي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

• • •

قال ابن آوى للدجاجة إني أهوى جوارك فهو غير جوار  
قالت ولكي لدارك أنتهي طول الزمان تباعداً عن داري

• • •

قال حمار الحكيم يوماً لو أنصف الدهر كنت أركب  
لأني جاهل بسيط وصاحي جاهل مركب

• • •

وقالوا: لا غرو إن تقدم الجاهل في النادي على ذوي العلوم والأدب  
(فقل هو الله) أفي مؤخرأ بالذكر عن (تبت بدا أي لب)

وإذا أردنا أن نجمع الشعر الذي يصلح أن يؤتى به مثلاً في مختلف الأغراض لتجاوز  
المئات من الدواوين ويكفيها على ذلك شاهداً أرجوزة (الصادح والياغم) لابن أفبارية  
وحده المضمون على أني بيت يكاد يكون كله أمثلاً، ومن المؤسف أن تكون النسخة  
المطبوعة بالحجر والتي طبعت بالحروف في القرن التاسع عشر قد فقدتا. وقلت المهازن  
والمكتبات الخاصة التي حصلت على إحدى الطبعتين. وقد ظل في ذهني من (مقدمته)

من أيام الصبا قوله: هذا كتاب أدب وحكمة.

قضيت فيه مدة عشر سنين عذّة  
وإذا سمعت باسمك وضمنه برسمك  
ببؤته ألفان وكلها معاني

ومما بني من مضامينه في ذهني قوله:

لا تكثر المعنابا تنفر الأصحابا  
فكثرة المعائب تدعو إلى الخائب  
ولا تكن ملحاحاً لا تكثر المراحا  
فكثرة الغون ضرب من الخون

ومن أشهر الأقوال والحكم التي تصلح أن تكون مثلاً بأنّي للموعظة، والحجة،  
والتذكير واجتناب المنكرات. إشعار طائفاً استشهد بها المستشهدون في كلامهم من قبيل  
قولهم:

ومها تكن عن امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقولهم:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب نحه ومن غطى بعمر فبهزم

ويحسن الشاعر الذي سُمّ قفرو وسكناه ببغداد تشبيه وجوده بالقرآن الكريم في بيت  
الزنديق إذ يقول عن بغداد:

ألفت فيها مضاعاً بين ساكها كأنني مصحف في بيت زنديق

ومثله قول آخر:

غير أنني أصبحت أضيع في القوم م من البدر في ليالي الشتاء

ويشابهها قائل آخر إذ يقول عن بغداد:

ماذا الإقامة في (الزوراء) لا وطي بها ولا نافي فيها ولا جملي

ومثل هذا وأحسن منه مما غاب عن ذهني نماذج من الأمثال في الشعر الذي يعد من أوسع أبواب الأمثال العربية. ومن أروع نماذج البلاغة الذي تنطوي عليه الأمثال ويتجل في مدى العمق في إصابة الحكمة عند العرب ومفكرهم.

### الكتابة

والكتابة هي باب آخر من أبواب المثل الواسعة. وهي كلام يذكر لفظه بالمعنى المتعارف لغة والمفهوم منطقاً ليس بلفظه وحده. وإنما هو كالأشارة مدلولها معناها وليس لفظها وقال أحد الشعراء:

أَكْبَى بغير اسمها وقد عد سم الله خفبات كل مكتم

وبعبارة أخرى إن الكتابة هي الكلمة أو الكلام الدال ذكره على غيره. ويضرب (المنجد) مثلاً لها بقوله (زيد كثير الرماد) كتابة عن كرمه. وكثرة ما يضيء للضيوف من الطعام. ومن أجمل الكتابات أن عجوزاً شكت لعمد الملك بن مروان فقرها واتعدام ضعامها فقالت له: (أشكو إليك قلة الفيران) قال املئوا بيتها ضعاماً.

وأجمل الكتابات وألطفها سبكاً وبلاغة فيما يخص العلاقة الخفية قول الله تعالى (أولاً مسم النساء) سورة النساء - الآية ٤٦. وقوله تعالى (من لباس لكم وأنتم لباس لمن) سورة البقرة - ١٨٧ ومن هذا البديع من الكتابات التي تقوم مقام المثل قول الله تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) سورة الفرقان الآية ٧٢. ومن روائع الكتابات وصية النبي بالنساء والإرفاق بهن قوله (رفقاً بالقوارير) وجاء في (موسوعة الكتابات البغدادية) لمؤلفه اغامي البحاتة عبيد الشاخي قول التعالي في (لطائف المعارف) ٥٣ - ٥٤ إن البغداديين كانوا أول من لقبوا بحكامهم وأمراءهم بالألقاب. وكنوا بما يدل على صفاتهم حتى اشتهرت الكنية وأصبحت مثلاً فقد لقبوا (النصور) بالدوانيقي لشدة غلته ولقبوا أحد وزرائهم (بدق صدره) لأنه كان يثق صدره بيده كلما حصل له شيء.

ولقبوا وزيراً آخر (بالوزير الزبيبي) لأنه كان يعمل الزبيب في جيبه.

ولقبوا الأمير محمد بن رائق أمير الأمراء (بأم الحسين) ولقبوا أخاه (عديعة) ولا يزال البغداديون حتى الآن يطلقون الألقاب على المشاهير بلغتهم العامية فتذهب مثلاً:

وعن شفاء العليل ص ١٩٧ نقل الباحث انصامي عبود الشاخي أن البغداديين القدماء كانوا يطلقون على بيت الخلاء سماً آخر هو (مرودة الدار) ويشير أحد الشعراء إلى ذلك قائلاً:

ببْتُ إذا ما زلله زالر فقد قضى أعظم أوطاره  
وهو إذا ما جاء منطلقاً (مرودة الإنسان) في داره

ويقول في (الكتابات البغدادية العامية) عن ابن فارس «إن الناس يكونون عن الشيء.. فإذا فشت الكتابة وانتشرت صارت إلى حد الاسم الأول الذي كني عنه فانتقلوا إلى كتابة أخرى. فإذا فشت أيضاً واتسعت رأوا فيها من الوضوح ما يستوجب الانتقال إلى كتابة أخرى. وهذا هو السبب في كثرة الكتابات عن الشيء الواحد، أخلاق الوزيرين ٣٨٧ هـ) ولذلك تكثر الكتابات للشيء الواحد ولم تعد تقتصر على شكل واحد وكتابة واحدة.

ولا يسلم المثل في جميع صورته من الشعر، والكتابة، والنشيد، من البذاءة والقبح والكلمات النابية. وكان المؤلفون القدماء وحتى الفقهاء ورجال الدين لا يمانعون من إيرادها والتخيل بها. وبقلدهم البعض من أدبائنا المعاصرين العرب. ويسهجنهم البعض الآخر. أما الغربيون فيؤيدون الإتيان بها والإفصاح عن القصص الخليعة برمتها وبدون مبالاة.

ويقول انصامي عبود الشاخي في مقدمته للجزء الأول (من موسوعة الكتابات البغدادية العامية) «وقد وجدت أن البعض من المؤلفين يتحامون إيراد اللفظ الذي تذكر فيه العذرات نحرَجاً، أو خوفاً من اللوم أو رغبة في وصفه بالتقوى وأنا لست من رأي هؤلاء. لأن إثبات الكل بمكّن الباحث من الاطلاع اطلاعاً تاماً على واقع الحال. أما

إثبات البعض وترك الباقي فهو افتئات على الحقيقة التي يجب أن تحترم. ومن دواعي السرور أن المؤلفين القدماء كانوا من رأيي. فإنهم أثبتوا ما قرع أسماعهم. وما وقعت عليه أبصارهم. ولم يغفلوا منه شيئاً. فنقلوا إلينا واقع عصرهم نقلاً صحيحاً صادقاً.

ويؤكد هذا الرأي قول الحصري القائل « لا تنظر إلى النادرة نظر المنكر فتعرض عنها صفحاً وتطوي دونها كشحاً إذا وقعت فيها كلمة قذف أو لفظة سخف».

صحيح أن المؤلفين القدماء ما كانوا يتحاشون إيراد الكتابة النابية والقول المفضح نظماً كان أو نثراً. ومنها الأمثال البذيئة. لأن القراءة والكتابة لم تكن متشرة بين النساء حتى لقد كان لسان حاضن يقول:

**هَنَ الحرائر لا رَبَات أَعْمَرَة سود المخاجر لا بقرآن بالسور**

وكانت القراءة والكتابة مقتصرة على الخواري والمغنيات. لذلك لم ير هؤلاء المؤلفون بأساً من أن يرسلوا الكلام على عواهنه. ويطلقوه بدون أي حذر واحتياط. أما اليوم وقد عمت القراءة والكتابة جميع النساء. فلم يبق ما هو محتجب عنهن. ومع ذلك فإن أكثر المؤلفين صاروا يختاطون أكثر. وقد قام «جرجي زيدان» بتشذيب وتهذيب (ألف ليلة وليلة) حتى نقاها من كل فحش. ولم يكن الفحش أصلياً في كتاب (ألف ليلة وليلة) وإنما هو من المزيادات التي أدخلت على الكتاب في العصور التالية.

ومن انتشار التعليم بين النساء والتوسع في القراءة. فقد عرضت عليّ إحدى السيدات العربيات المصنفات. ذات يوم ترجمة لها لكتاب (دي كامرون). لبوكشيو الايطالي. وهذا الكتاب مجموعة قصص موعلة في الفحش وقد ترجم إلى جميع اللغات ونحاشي ترجمته أدباء العرب باستثناء المرحوم كامل الكيلاني الذي لم يترجم منه إلا المستساغ من القصص السليمة. أما هذه السيدة فكانت قد أتت على ترجمته بعجره وبجره. فإذا بقيد بعد التكم والتخي وهذه كتب الأقدمين تفيض بالفحش والبذاءة. ولا سباً في الأمثال التي بمنعني الاحتشام أن آتي بمثل لها هنا.